

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ خَلِيفَةَ الْمَنَاعِي

حياة قصيرة ، وعطاء خيري مايزال مستمراً

- مقدمة:

هو أحد ابرز رجال العمل الخيري في عائلة آل بن عجمي المناعة . حياته اكتنفها الغموض ، وشحت عنها الأخبار والمعلومات ، فتجد الناس تلهج بذكر اسمه ولا تعرف شيئاً عن سيرته ، إلا قلة من عائلته القريبين جداً !. مات في سن مبكرة نسبياً ، ولم يخلف أولاداً ، وربما يكون هذا أحد أسباب نسيان تفاصيل حياته . جمع ثروة كبيرة من المال ، خصص ثلثها لأعمال الخير ، فكانت قارب انقاذ لكثير من الفقراء والموعوزين ، منهم أفرادٌ كثر من عائلته ؛ ممن تسببت محنة الغوص على اللؤلؤ في القضاء على مصدر رزقهم ، وأحالتهم إلى عاطلين عن العمل ؛ فلقد حلت كارثة كساد اللؤلؤ على شعوب منطقة الخليج العربي عامة ، وذلك مع بداية عشرينات القرن الماضي ، فأفقرت غنيهم وأردت بفقيرهم إلى حضيض الحاجة ، وجعلت إقتصاد بلدانهم - القائم على هذا النوع من الدخل - في أدنى المستويات . وجاء ظهور النفط وانتاجه ليعيد للبلاد انتعاش حياتها الاقتصادية ، ويستوعب الأعداد الكبيرة من العاطلين الذين خلفتهم تلك المأساة . ولكن آثار المأساة استمرت حتى اربعيناته . وقد كان للتركة الوقفية الجارية للمرحوم عبدالله فضل كبير في مساعدة الكثير من الناس ، على تأمين العيش الكريم في حياتهم ، وخصوصاً أهالي قريته واقربائه ، فكان علينا واجب الامتنان له وتقديره ، بتدوين ما تيسر لنا من سيرته الطيبة .

- التعريف به وبحالته الاجتماعية :

اسمه الكامل : عبدالله بن خليفة بن درويش بن سالم بن درويش آل بن عجمي المناعي ، وُلد في قرية قلالي في سبعينات القرن التاسع عشر الميلادي (ما بين عامي 1870 - 1875 م تقريباً) ، وتربى في بيت جدّه الكبير الشيخ سالم بن درويش رئيس قبيلة المناعة . تزوّج والده (خليفة) من امرأة من بدو الكويت تدعى (طرفة) من قبيلة المطيري ، حيث كان والده يسافر إلى البصرة ، ويقوم بفترة وجيزة في الكويت في طريقه إليها ، وربما كان على علاقة متينة مع جماعة من قبيلة المطيري ، وكذلك ابنه عبدالله ، الذي تبع عادة أبيه في زيارته إلى هناك (1) . ولا أستبعد أنه كان على معرفة جيّدة بأحد أعيان هذه القبيلة المعروفين بالكويت ، وهو التاجر هلال فجحان

المطيري ، الملقب بـ (ملك اللؤلؤ) . ومما يجدر ذكره : إن حكاية فحجان المطيري في دخوله عالم التجارة والثروة والمال ، تشبه إلى حد كبير سيرة عبدالله بن خليفة في هذا المجال . وكذلك عاش الرجلان خلال فترة زمنية واحدة تقريباً ، ولكن المطيري وُلد قبل عبدالله بعدة سنوات ، وتوفى بعده بثمانية عشرة سنة ، بعمر الثلاثة والثمانين عاماً ، بينما مات عبدالله وهو في ريعان رجولته وأوج غناه . وليس هذا فحسب ؛ فقد تمتع هلال بالجاه والثروة ، وصار تاجرَ لؤلؤٍ لامعاً ، عمتْ شهرته بلدان الخليج العربي والهند ، بينما حَقَّتْ ذكرعبدالله إلا من سمعة وحيدة ارتبطت بما تركه من وقف خصَّصه لأعمال الخير! وهذا من دواعي تدويننا لسيرة هذا الرجل الطيب المعطاء .

لدى عبدالله من والديه إخوة ، هم : جاسم ومحمد وسالم . تزوّج جاسم من شريفة بنت عيسى بن هاشل ، وأنجب منها راشد وعيسى . وتزوّج محمّد من شيخة بنت احمد بن يوسف بن هاشل ، وأنجب منها يوسف وزمزم وهيا . وتزوّج سالم من لولوة بنت إبراهيم بن محمد بن خليفة الحمدان ، وأنجب منها عائشة وفاطمة وثاجبة . وبذا فأحفاد جاسم الآن هم من بقي من نسل خليفة بن درويش بن الشيخ سالم بن درويش ، من جهة الأب طبعاً .

في بحثنا عن سيرة عبدالله ، لم نعرف شيئاً عن طفولته وتعليمه ، فمن المحتمل أنه أدخل الكُتّاب (المطوّع) ، على عادة أهل ذلك العصر، وبخاصة أنه نشأ في بيت عز وجاه ، يحرصون على تعليم أبنائهم حفظ القرآن ومبادئ القراءة والكتابة . ولكننا لم نحصل على ما يثبت لنا ذلك ، كما لم نجد له أية رسائل صادرة عنه بخط يده أو توقيعه ، أو أية وثيقة صادرة عنه خلال حياته. ومن المعروف أن أمية القراءة والكتابة ، لم تكن تشكل عقبة في نجاح وتفوق الشخص في ممارسة أية تجارة أو مهنة آنذاك ، وكان التُّجار والأعيان يستعينون بكُتّاب خاصين ، أو من أبناء العائلة المتعلمين لإنجاز معاملاتهم ورسائلهم .

أما عن حياته الاجتماعية ، فقد تزوّج عبدالله من (هيا بنت علي بن الشيخ سالم بن درويش) وانجبت له : لولوة وحصّة ونورة . ويقال أنه انجب من هيا ولداً اسمه (محمّد) توفي طفلاً صغيراً ، ويذكر الوجيه محمد بن عبدالله المناعي أنه سمي باسمه . تزوّجت ابنته لولوة من احمد بن عيسى بن هندي المناعي ، وانجبت فاطمة وعائشة ومريم وعبدالله وشريفة وعيسى وأنيسة . وتزوّجت حصّة من عبدالله بن عيسى

المناعي ، وانجبت محمد وأحمد وجاسم - توفي صغيراً - وسالم وعلي وعيسى وفاطمة وزكية ولبنى . وتزوجت نورة من احمد بن عبدالله بن المناعي ، وانجبت درويش وسالم وشريفة وأمينة ونيلة وبدرية ومريم . ثم تزوج عبدالله من حصّة بنت عبدالله بن احمد بن خليفة المناعي ، وهي أرملة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالوهاب الخليفة ، وكان لديها ثلاثة أبناء ، هم : سلطان ومريم ونورة ، ولكنها لم تتجب من زوجها الأخير (عبدالله) . ويقال أن زواجه بها تم بعد سفرته الوحيدة إلى الهند ، حيث أحضر الهدايا الكثيرة لعائلته ، وشاءت الصدفة أن تكون المناسبة سبباً في تعرفه عليها ومن ثم الاقتران بها . و خلال زواجه بها كان يزورها في البيت الذي خصّصه لها شمال المحرق ، وعاش أبناؤها في رعايته إلى أن توفي عنهم . وقد حدث خلاف بعد ذلك ، بين ورثة المرحوم عبدالله وبين ابن المذكورة حول موجودات التركة . وهي أمور يكثر حدوثها بعد وفاة المورث .

- عمله في الطواشة وتجارة اللؤلؤ :

نشأ عبدالله في بيت عز وجاه ، يعمل أغلب أفراد عائلته في صيد اللؤلؤ وتجارته . فاشتغل في المهنة ذاتها ، ولكن عمله اقتصر على الطواشة في البر ، وشراء اللؤلؤ وبيعه . ولم يذكر عنه أنه امتلك سفينة يذهب بها إلى هيرات الغوص لشراء اللؤلؤ ، وقيل أنه في شبابه عمل غيصاً عند أحد نواخذة الغوص . وكانت بداية عمله في شراء حبات اللؤلؤ الصغيرة ، والعمل على تنظيفها وصقلها ، ثم بيعها بثمن أعلى قليلاً . وفي إحدى المرّات عرض عليه أحد نواخذة الغوص لؤلؤة من نوع يقال لها المجهولة ؛ وهي اللؤلؤة المغطاة بغلاف صدفي يصعب تمييز جودتها إلا بعد إزالته ، ويتم بيعها بالحظ ، فكان أن ربح وحصل على (حصبة) ، أي لؤلؤة ثمينة ، باعها بمبلغ كبير من المال ، كانت فاتحة خير ، ودافعاً قوياً له في انخراطه بحماس في تجارة اللؤلؤ ، وهذا ما حصل أيضاً لتاجر اللؤلؤ فحجان المطيري ؛ إذ كان سبب غناه حصوله على حصبة . ويقال أن عبدالله دأب بعد ذلك على شراء هذا النوع من اللؤلؤ ، وكان له أصدقاء من الدالين الذين لديهم خبرة ودراية في معرفة اللؤلؤ الجيد ، يساعده في ذلك ، كما يتولون تسويق ما لديه من لؤلؤ، منهم : جعفر بن زبر ، الذي كان يزوره دائماً في مجلسه في قلالي ، واشتهر بخبرته في تنظيف اللؤلؤ وصقله ، ومنهم أيضاً حجي أحمد بن سلمان وسيّد مهدي .

وفي غضون سنوات عمره - القصيرة نسبياً - جمّع عبدالله ثروة كبيرة ، جعلته من كبار تجار اللؤلؤ ؛ وذلك بفضل ماتمتع به من فطنة وذكاء فطريّ ، وحظ كبير.

- ثروته من المال :

تركَ عبدالله بعد وفاته ثروة كبيرة من المال ، أوقفَ ثلثها للعمل الخيري ، حيث تم بها شراء عدد من النخيل والعقار . وكانت زكاته تعمُّ جميع أفراد عائلته ، القريبين منهم والبعيدين ، وكذلك جمَّعاً كبيراً من الفقراء من أهالي قلالي والمحرق ، واستمرت جاريةً لسنين عديدة بعد وفاته . أما ثلثا ثروته فقد آلت إلى ورثته من البنات وهنَّ لولوة وحصّة ونورة ، وإلى زوجته (هيا وحصّة) ، وإلى العصابة من أفراد عائلته ، وهم: أبناء علي بن سالم بن درويش (أحمد وعيسى و ابراهيم) ، و (حسن وجاسم) ابنا محمد بن سالم بن درويش(2).

وتضمنت الأملاك التي تخص ثلث عبدالله : عدداً من العقار (عمارتان وعدد من الدكاكين) بالمحرق ، وأربعة من النخيل هي :

- نخل الفهادي
- نخل المدهون
- نخل معامرات الشعبي
- نخل الحلافي

وجميعها بمنطقة القطيف ، وكان القليل من محاصيلها يباع ، أما معظمها فيوزع على بيوت العائلة والمحتاجين ، حتى بداية خمسينات القرن الماضي .

- وصيته ، وحكاية الثلث :

أوصى عبدالله قبل وفاته بثلث ثروته وفقاً لعمل الخير ، واسند وكالته إلى رجل الدين المعروف احمد بن جاسم الجودر ، الذي كان على علاقة وطيدة به وبعائلته ، ويُذكر أن عبدالله كان يُودع لديه أمواله في حياته ، وكلفه بمسؤولية توزيع زكاته . وكان المذكور (احمد الجودر) يعمل تاجرًا عمومياً أيضاً ، يملك عمارة (متجرًا) بسوق المحرق ، وفيها خزانة حديدية كبيرة (تجوري) لحفظ الأموال ، خصّصها لودائع وودائع بعض التجار من زملائه ومعارفه وعملائه ؛ حيث لا توجد بنوك تقوم بهذه المهمة في ذلك الوقت . وبعد وفاة عبد الله بن خليفة قام أحمد بن جاسم بشراء مجموعة من النخيل في منطقة القطيف ، وعدد من العقارات والدكاكين في المحرق . وصار يصرف ريعها في أعمال الخير، كما جاء في الوصية . وبعد وفاة احمد الجودر عام 1929م ، انتقلت وكالة الوقف وراثتاً إلى ابنه (جاسم) . ولم يكن هذا حريصاً - مثل أبيه - على اطلاع الورثة على تصرفاته في إدارة الوقف من بيع وشراء ، إلى جانب ما تعرّض له

المذكور من افلاس - بحسب ما أشير في إعلان المحكمة - نظراً للأزمة التي حصلت في أسواق اللؤلؤ وأدت إلى هبوط أسعاره . وعليه تقدّم الورثة بشكوى ، يطلبون فيها نقل الوكالة إلى غيره ، واستجابت المحكمة لهم ؛ حيث أصدرت في التاسع من ذي الحجة إعلاناً برقم 1357/720، طلبت فيه منع المذكور من التصرف في ثلث المرحوم ، واستلام واردات الأملاك ، واختتمت الإعلان : بمناشدة من يرغب في استئجار أو ضمان الملك ، بأن عليه إخبار المحكمة بذلك . وقد رشح الورثة المرحوم عيسى بن علي المناعي بأن يتولى الوكالة بدلاً لجاسم ، لما يروونه فيه من التقوي والأمانة والصلاحيّة - بحسب ما ورد عن شهادة الورثة في قرار المحكمة - وحصلوا على موافقة المحكمة في 17 ذوالقعدة 1359 هـ الموافق 17 ديسمبر 1940م .

وبعد وفاة عيسى بن علي تولى الثلث نجله عبد الله بن عيسى ، ومن بعده ابنه محمد بن عبد الله المناعي .

وليس قصدنا من الإشارة إلى مثل هذه الخلافات سوى أنها تُعدُّ جزءاً من سيرة المترجم عنه ، وأن الالتزام بذكر حقيقة ما حدث ، هو من مسؤوليات المؤرخ . وقد سبقنا أحد الباحثين إلى نشر ذلك (3) .

- منزله التراثي ، وحكاية هدمه :

بعد أن توفّر لعبدالله الثروة والمال ، شيّد له بيتاً كبيراً وسط القرية ، تميّز ببنائه المعماري المحلي الجميل ، ضمّ فيه عائلته . وبعد وفاته آل ملكه بالشراء إلى الوجيه عبدالله بن عيسى المناعي (زوج ابنته حصّة) . ويُعدّ المنزل من المعالم الأثرية البارزة في القرية ، الذي يعود تأسيسه إلى بداية القرن العشرين . وبقي المنزل متماسكاً في بنيانه حتى أواخر القرن الماضي ، يَنتظر أن تمتدّ له يد الترميم ، بعد ما أصاب بعض جدرانه الانهيار ، وبدلاً من الحفاظ عليه ، سارع المسؤولون في بلدية المحرق إلى هدمه ؛ بدعوى أنه قديمٌ وأيل للسقوط ! ، وكانت العائلة قد هجرته في العام 1967م إلى السكن في المنامة . ولم تُجدِ كل المناشذات لإنقاذه من معاولهم ، حيث أجهزوا عليه وتحويله إلى أنقاض ، وتم ذلك في عطلة عيد الأضحى من عام 2006م ، من دون علم أصحابه أو استشارتهم . وقد تسببت عمليّة الهدم في ضياع ثروة تراثية قيّمة لا يمكن أن تُعوّض ؛ حيث أن مُلاك المنزل كانوا يحتفظون ، في غرفه المغلّقة ، بكل المقتنيات التراثية النادرة ، من أثاث وأوانٍ للطبخ ومراوح وغيرها ، إضافة إلى ما يحتويه البيت من أبواب ونوافذ وسقوف خشبية تقليدية جميلة ، وجدران ورواشن مزخرفة بنقوش فنية ، محليّة الطابع !.

- حكاية وفاته :

كان عبدالله في كامل حيويته ونشاطه ، حين فاجأه الموتُ غفلةً ، وهو في بداية العقد الخامس من عمره ، وتشير إحدى الوثائق إلى أن وفاته حدثت عام 1920م تقريباً (4) . ويذكر أحد أقربائه أن سبب وفاته : هو أن عبدالله اعتاد أن يذهب مع بعض اصدقائه في قارب صغير لالتقاط المحار(المجنّه) من المواقع الضحلة القريبة من شاطئ البحرين الشمالي والشرقي (5) ، ويكون وقت ذلك في غير اشهر الصيف . وبعد حصولهم على المحار، يفلقونه بحثاً عن اللؤلؤ ، وأحياناً يأكلون لحمه (الخروط) بعد غليه بالماء والملح ، وصادف ذلك اليوم أن أعدوا وجبة منه ، أكل منها جميع من كانوا على القارب ، وبعد فترة من تناولهم إياها أصيب عبدالله بالأم في بطنه ، أعقبه إسهال حاد أدى إلى مفارقتة الحياة قبل الوصول إلى به الشاطئ . وأشيع أن سبب الوفاة قد تعود إلى تسممه من تلك الأكلة ! .. وقد تقصيت هذه الحكاية لدى عدد من بحارة قلالي المعروفين ، فتعجبوا من ذلك السبب ، قائلين : بأنهم لم يسمعو أن أحداً ممن كانوا يأكلون لحم المحار حدث له ذلك !.. ولكن للموت أسباباً غريبة غير متوقعة ، كما أن للنجاة منه - أيضاً- ما هو أغرب !.

هاهي مئة عام تكاد تمضي على وفاته ، ومايزال له في قلوب الناس معزة وامتناناً كبيرين . ويذكر الأخ عبدالله بن احمد هندي المناعي : أن والدته (لولوة ابنة صاحب السيرة) اسمته باسمه تبركاً ، وها هو اليوم من رجال الأعمال البارزين ، وفقه الله.

مات عبدالله ، ولكن ذكره باقي ؛ يقول الحديث الشريف : " إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : من صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ ينتفع به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له " . وقد فاز عبدالله بأولادها ، فجزاه الله خير الجزاء.

أحمد علي المناعي

6 سبتمبر 2016م

الهوامش :

(1) - ذكر عن الشيخ سالم بن درويش أنه كان يزور الكويت و البصرة ، وكان العديد من عائلة البنعجمي يقومون بذلك ؛ لوجود صلات قرابة مع فرع المناعة ، ومصاهرات ومعارف لهم هناك . ومن غيرهم من العائلات القبلية المعروفة . و يذكر المرحوم أبراهيم بن هاشل في زيارة له إلى البصرة : أنه التقى بأحد أمراء السعودون من المنتفق فسأله عن بعض رجال المناعة المشهورون ، ومنهم الشيخ سالم بن درويش وابنه محمد بن سالم ، دليلاً على وجود علاقات صداقة أو نسب تجمع بينهم .

- (2) أشرنا لمن نعرف من الورثة ، حيث لم نتمكن من الاطلاع على وثيقة الفريضة : لتتأكد من عددهم وأسمانهم.
- (3) - راجع حول الخلاف على وكالة الوقف ووثائقه : كتاب (أعيان البحرين) لبشار الحادي - الجزء الثالث ، عن حياة تاجر اللؤلؤ عيسى بن علي المناعي - من ص 383-386 ، طبعة 2010م .
- (4) - بحسب وثيقة ، وهي عبارة عن رصيد استلام عن دين كان على المرحوم عبدالله ، سده الورثة بعد فترة وجيزة من وفاته، مؤرخ في 29 صفر 1339هـ ، الموافق 12 نوفمبر 1920م.
- (5) من مواقع التقاط المحار(المجناه) المعروفة : الكشاشة ، وهي أقرب المواقع شرق شمال قلالي ، مياها ضحلة ، ويذهبون إليها عند الجَزْر بالقوارب ويلتقطون المحار مشياً على الأقدام . شويجة ، تقع قرب سترة ، ومياها ضحلة أيضاً . ومن مواقع المجنة في الصيف : القصمو والخيرة ، شرق بحر قلالي .

المصادر :

- مقابلة مع رجل الأعمال محمد بن عبدالله المناعي - بتاريخ 2 / أغسطس 2016م
- مقابلة مع نجيب واخيه راشد ابني جاسم بن راشد بن جاسم المناعي - بتاريخ 24 يناير 2017م
- مجموعة وثائق من الإرشيف الخاص بالموقع .

الملاحق :

- صورة لمنزل عبدالله بن خليفة القديم ونماذج لتصميمه المعمارية.



